Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأبناء الشعب المصرى – حينئذ – عُزْل لا يحملون سلاحًا، ولكنهم فى الجهاد بواسل لا يفزعهم جيش العدوّ ولا أساطيله، فأساطيلهم وجيشهم الذى لا يُدْفع حجج وحقوق وبراهين أقوى من كل سلاح. ويحذر سعدًا من أحابيل الإنجليز ومكرهم وكيدهم ودهائهم، ويقول: إن أوجست منهم شرًّا فاقطع حبل المفاوضات، وعُدْ إلينا رافعًا رأسك ورأس شعبك.

ويتوفى سنة ١٩٢٧ سعد زعيم مصر، بل زعيم البلدان العربية، بل لقد اتسعت زعامته حتى ليقرُّ له غاندى زعيم الهند بالزعامة والأستاذية فى الثورة على الإنجليز، ويبكيه حافظ، ويئنّ لمصاب مصر والشرق فيه أنينًا طويلًا. ويحال حافظ إلى المعاش فى سنة ١٩٣٢ وتُفَكّ عنه أغلال الوظيفة، وكانت مصر حينئذ تجتاز فترة تعسة، هى فترة حكم إسماعيل صدقى، وما أَصْلَى فيها الشعب من ظلمه وعسفه، يسانده الإنجليز ويعضدونه، وكانت صحف الحزبْين الوفدى والدستورى تحمل عليه حملات شعواء فحمل معها الجندى القديم: حافظ سلاحه الشعرى، وأخذ يرميه بأبياته وسهام أشعاره من مثل قوله:

يـا آلـةً لـلظالمـين ودُمْـيـةً فى قَبْضَتيهـا النَّقْضُ والإبـرامُ
لاهُمَّ أَحْىِ ضَمِيـرَهُ ليـذوقَهـا غُصَصًـا وتنسفَ نَفْسَـهُ الآلامُ

٣

وحافظ فى هذا الشعر الوطنى الثائر الذى كان يملأ به أبناء الشعب المصرى حماسةً وفتوّة وصلابة لمنازلة المحتل الغاشم يُعَدُّ سابقًا لشعراء العربية فى مصر وغير مصر من البلدان العربية، وهو سبق جعل له حظًّا غير قليل من الزعامة فى الشعر الوطنى العربى الحديث.ولم يشدّ حافظ هذا الوتر الوطنى وحده مبكرًا إلى قيثارة شعره، بل شدَّ إليها معه مبكرًا أيضًا وترًا عربيًّا، وكان أول نغم صبّه منه صيحة قوية فى أبناء وطنه والأوطان العربية لإغاثة لغة الضاد ضدّ أعدائها حين سوَّلت لمستر ويلمور نفسه مهاجمتها فى عقر دارها، وكان قاضيًا إنجليزيًّا بمحكمة الاستئناف الأهلية، فألّف كتابًا عن لغة أهل القاهرة العامية سنة ١٩٠٢ ودعا